

أضواء البيان

@ 10 @ فُوَادُ أُمِّ مَوْسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَّٰطَبْنَا عَلَيَّ فَلَا بُدَّ لِيَّ بِهَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { يَا أُوْذُوقُوْهُ } مجزوم في جواب الطلب الذي هو { فَلَا يُدْرِكُهُ الْيَمِّمُ بِالسَّحْلِ } وعلى أنه بمعنى الأمر الكوفي فالأمر واضح . وعلى أنه بمعنى الخبر فالجزم مراعاة لصيغة اللفظ . والعلم عند الله تعالى . وذكر في قصتها أنها صنعت له التابوت وطلته بالقار وهو الزيت لئلا يتسرب منه الماء إلى موسى في داخل التابوت ، وحشته قطناً محلوجاً . وقيل : إن التابوت المذكور من شجر الجميز ، وأن الذي نجره لها هو مؤمن آل فرعون ، قيل : واسمه حزقيل . وكانت عقدت في التابوت حبلًا فإذا خافت على موسى من عيون فرعون أرسلته في البحر وأمسكت طرف الحبل عندها ، فإذا أمنت جذبته إليها بالحبل . فذهبت مرة لتشد الحبل في منزلها فانفلت منها وذهب البحر بالتابوت الذي فيه موسى فحصل لها بذلك من الغم والهم ما ذكره الله تعالى في قوله { وَأَصْحَابِ جَبَلٍ فُوَادُ أُمِّ مَوْسَى فَارِغًا } .

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من مننه المتتابعة على موسى حيث قال { وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى عَبْدِنَا عَلَىٰ يَدَيْكَ مَرْوَةً أُوْخِرَى } أشار إلى ما يشبهه في قوله : { وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مَوْسَى وَهَارُونَ } . قوله تعالى : { وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي } . من آثار هذه المحبة التي ألقاها الله على عبده ونبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ما ذكره جل وعلا في (القصص) في قوله : { وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ } ، قال ابن عباس { وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي } : أي أحبه الله وحبه إلى خلقه . وقال ابن عطية : جعل عليه مسحة من جمال . لا يكاد يصبر عنه من رآه . وقال قتادة : كانت في عيني موسى ملاحه ، ما رآه أحد إلا أحبه وعشقه . قاله القرطبي . قوله تعالى { إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ } فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ } . اختلف في العامل الناصب للظرف الذي هو (إِذْ) من قوله { إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ } فقيل : هو (أَلْقَيْتُ) أي ألقيت عليك محبة مني حين تمشي أختك . وقيل : هو (تصنع) أي تصنع على عيني حين تمشي أختك . وقيل : هو بدل من (إِذْ) في قوله { إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ } . .

قال الزمخشري : فإن قلت : كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان ؟ قلت : كما يصح

وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاء أن يقول لك الرجل : لقيت فلانا سنة كذا . فتقول : وأنا لقيته إذ ذاك . وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها . . .

وهذا الذي ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة : من كون أخته مشت إليهم ، وقالت لهم { هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ } أوضحه جل وعلا في سورة (القصص) فبين أن أخته المذكورة مرسله من قبل أمها لتتعرف خبره بعد ذهابه في البحر ، وأنها أبصرته من بعد وهم لا يشعرون بذلك . وأن [حرم عليه المراضع غير أمه تحريماً كونياً قديماً] . فقالت لهم أخته { هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ } أي على مريض يقبل هو ثديها وتكفله لكم بنصح وأمانة وذلك في قوله تعالى : { وَقَالَتِ لَأُخْتِيهِ قُصِّى بِهِ فَيَحْضُرْتَ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمَ ذَاتَ عِلَائِيهِ الْمَرَاضِعَ مَن قَبِلُ فَقَالَتِ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ